الحملات والغارات لعسكرية المتبادلة عبر الحدود بين إيالتي الجزائر وتونس ومساعي الصلح العثمانية خلال مطلع القرن التاسع عشر من خلال وثائق الأرشيف التونسي

Mutual Military Campaigns and Raids across the Border between the Regencies of Algeria and Tunisia and the Ottoman Peace Endeavours in the Beginning of the 19th C. Using the Tunisian Archive

1- رياض بولحبال *، جامعة 8 ماي 1945، قالمة (الجزائر)

riboulahbal@yahoo.fr

2- رمضان بورغدة ، جامعة 8 ماي 1945، قالمة (الجزائر)

Email: bouraghdaramdane@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/10/02 تاريخ القبول: 2024/11/05 تاريخ النشر: 2024/12/17

ملخص:

عرفت بدايات القرن التاسع عشر تطورات هامة في ايالة الجزائر وعلاقاتها مع الجارة تونس بحكم الحدود التي تربطها مع بايلك قسنطينة وتداخل الأقاليم الجغرافيا بين الغرب التونسي والشرق الجزائري، وقد كان من ابرز تلك التطورات استمرار الغارات والحملات على القبائل الحدودية من كلا الايالتين والتي نتجت عنها اعمال نهب وقتل آثرت سلبا على العلاقات بين الطرفين مما أدى إلى اندلاع معركة وادي صرات سنة 1808، ثم استمرار النزاع ،وقد عملت السلطة العثمانية من اجل التدخل وانهاء هذا النزاع من خلال مساعي الوساطة والدعوة الى الصلح باعتبار الايالتين تابعتين لها.

ولهذا كان موضوع المقال حول الغارات والحملات العسكرية بين ايالة الجزائر وتونس ومساعي الصلح العثمانية في بدايات القرن التاسع عشر، ويعالج إشكالية طبيعة هذا الصراع المتمثل في الغارات والحملات من كلا الايالتين وما هي العوامل المتحكمة فيها وابرز تلك الغارات والحملات من خلال ما جاء في وثائق الأرشيف التونسي، ثم كيف كانت الوساطة العثمانية ومساعي الصلح التي سعت لتحقيقها بهدف إنهاء النزاع.

كلمات مفتاحية: الغارات والحملات العسكرية-القبائل الحدودية-ايالة الجزائر – ايالة تونس-الوساطة - الصلح.

***-المؤلف المرسل**

Abstract:
During the Ottman era in Algeria, scietists and clergymen occupied high positions in the social and political life through playing different roles besides the Ottman Authorities. Yet, this category had privileges that were not given before. However, the end of the Ottman era in Algeria marked a crucial change in this category that transformed from an ally to opposition and rebellion.The present paper sheds some light on the important developments in the political,cultural,and social domains of the Bailic of Eastern Algeria in the end of the Ottman era via local documents and manuscripts. The article deals as well with the issue of change in position from support to opposition towards Ottman authorities and attempts to explain its impact particularly on the political life in the end of the Ottoman era and the beginning of the French colonisation using information from foreign as well as local written sources during that era in the east of Algeria.
Keywords: Raids and military campaigns - border tribes - regency of Algeria - regency of Tunisia - mediation – reconciliation.

- **مقدمة**

كان للتداخل الطبيعي والقبلي بين الشرق الجزائري والغرب التونسي آثارا عميقة على العلاقات بين البلدين الجارين، حيث تسبّبت الخلافات الحدودية والاحتكاكات القبلية من جانبي الحدود في توتر العلاقات بينهما إلى حد اندلاع مواجهات مسلحة بين الطرفين، خاصة منذ بداية القرن التاسع عشر رغم انتماء البلدين للدولة العثمانية ومواجهتهما لتحديات أوروبية متصاعدة أدت إلى احتلال الجزائر عام 1830، ثم سقوط قسنطينة، عاصمة بايلك الشرق في قبضة الفرنسيين في شهر أكتوبر 1837م

سأحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة عن إشكالية مركزية تثيرها طبيعة هذا الموضوع وتتعلق بماهية الغارّات والحملات العسكرية المتبادلة عبر حدود الإيالتين، وأسبابها وعواقبها من خلال مصادر الأرشيف التونسي.

1 وقائع النزاعات الحدودية بين إيالتي الجزائروتونس

انتابت العلاقات التونسية الجزائرية خلال فترات مختلفة توترات وصراعات مسلّحة بين أنظمة الحكم المتعاقبة في البلدين منذ بداية العصر العثماني ، لكنها تفاقمت منذ نهاية القرن الثامن عشر مع تراجع قوة الجزائر والاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي شهدها بايلك الشرق

الجزائري، على وجه الخصوص والتي شكّلت فرصة للسلطات الجديدة في تونس لكي تحاول التّخلّص من التّدخّلات الجزائرية في شؤونها الداخلية خاصّة منذ بداية حكم الباي التونسي حمودة باشا[1] الذي عمل على النهوض بالإيالة التونسية، ومساعيه لوضع حدّ لتدخلاتها في شؤون بلاده، وهو ما أشار إليه أبي عبد الله الشيخ الباجي المسعودي بقوله[2]: " . . . وأعلن بما **يخفيه من حرب الجزيريين لما عيل صبره في مداراتهم** . . . " وبعد أن قام بإعادة تسليح جيشه شنّ حملة عسكرية على مدينة قسنطينة، عاصمة بايلك الشرق الجزائري عام 1807م، أشارت إليها وثيقة أرشيفية بعنوان: **و اقعة صراط على عهد حمودة باشا**[3]، والتي اتفقت في مضمونها مع ما أورده المؤلف التونسي المعروف ابن أبي الضياف[4] الذي عاصر عهد حمودة باشا، وهي وقائع أشارت إليها أيضا بعض المصادر الجزائرية، على غرار ما ذكره نقيب أشراف الجزائر الحاج احمد الشريف الزهار في مذكراته[5] والعنتري في كتابه فريدة منيسة في حال

---

[1] - عمل حمودة باشا على إتباع سياسة داخلية اعتمدت على إصلاح أحوال بلاده وفرض نظام جباية خاص، وتنظيم الإدارة المحلية واتباع سياسة عسكرية اعتمد خلالها على تسليح بلاده واستيراد الأسلحة واستقبال الهدايا الخاصة بالسلاح من السويد والدانمارك، وتحصل على دعم فرنسي لإنشاء مصنع للبارود سنة1787م و وما إن حلت بدايات القرن التاسع عشر حتى اعترفت فرنسا بتفوق أسطوله على الاسطول الجزائري، انظر: نبيهة السلطاني، **القوى العسكرية بتونس وتكاليفها المالية من 1756 الى 1814**، رسالة دكتوراه، جامعة تونس الاولى، 1999-2000، ص181-195. وكذلك: **تونس أعلام ومعالم** (مؤلف جماعي)، المعهد الوطني للتراث، تونس1997ص191-192.

[2] -ابي عبد الله الشيخ محمد الباجي المسعودي، **الخلاصة النقية في أمراء افريقية**، ط2، تونس1323ه، ص136.

[3] -الارشيف الوطني التونسي، سلسلة223، الملف 384

[4] -ابن ابي الضياف، **إتحاف آهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، الدار العربية للكتب، تونس1999، ص37-39.

[5] - **مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار**، تحقيق احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص96-98

دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءها على أوطانها[6] والحاج احمد مبارك العطار في كتابه تاريخ حاضرة قسنطينة[7]، وكذلك الأمر بالنسبة لمخطوط أخبار بلد قسنطينة" الذي يجهل مؤلفه[8] .

وتعتبر الوثيقة المذكورة أعلاه نسخة من رسالة والي تونسي لم يذكر اسمه إلى مأمور الوجق التونسي بأزمير محمد خوجة ووكيل الوجق شريف أغا، أحاطه فيها علما بردّ فعل تونس بعد إغارة عبد الله، باي قسنطينة[9] على المناطق التونسية المتاخمة للحدود الجزائرية سنة 1219هـ، الموافق لسنة 1804م، حيث الرسالة إلى أن غرض باي قسنطينة يتمثل في الحصول على غنائم لمعالجة الأزمة المالية الخانقة التي كان يعاني منها بايلك قسنطينة حين تولى السلطة، وتذكر المصادر أنّه عرف بغاراته المتكررة على تونس وقيامه بالنّهب والسّلب[10]. حيث كان حملته على عرش أولاد بوغانم من الأسباب التي دفعت الباي التونسي حمودة باشا إلى الهجوم على قسنطينة سنة 1222هـ-1807م، ويرجع تاريخ هذه الرسالة إلى ما بعد ثلاثة عشر شهرا من هذه الأحداث.

بدأت هذه الرسالة بعرض الظروف التي أدّت إلى هذه الأحداث التي دشّنت بحملة عبد الله، باي قسنطينة سنة1804على عرش أولاد بوغانم بالقرب من الحدود مع الجزائر والخسائر التي تعرض لها هذا العرش التونسي، وردّ فعل السلطات التونسية التي قامت بإرسال محلّة (حملة عسكرية) بقيادة سليمان أغا إلى مدينة قسنطينة، حيث قام بمحاصرتها مدة شهر كامل، ثم أشارت الوثيقة بعد ذلك إلى النجدات التي أرسلتها السلطات الجزائرية لصدّ الحملة التونسية، وهي: محلّة بحرية قدمت من مدينة عنابة ومحلّة برية قدمت من مدينة الجزائر مما أدى إلى تراجع المحلة التونسية، وانسحابها إلى الأراضي التونسية، ثم تعرضت الوثيقة إلى تقدم قوات الايالة الجزائرية بقيادة (الباي والاغا) بعد حشد ما يزيد عن خمسة آلاف فرد ومائتي خيمة، إضافة إلى العساكر القادمة من الجزائر وعنابة ووادي الزيتون

---

[6] -محمد الصالح بن العنتري، **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على اوطانها**، تحقيق يحي بوعزيزنة دار هومة للنشر، الجزائر، 2005، ص92-100.

[7] - الحاج احمد بن مبارك بن العطار، **تاريخ قسنطينة**، تحقيق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة 2011، ص114-122.

[8] - مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم2717.

[9] - فترة حكمه على بايلك الشرق امتدت من1219هـ-1221هـ. الموافق لـ 1804-1806

[10] - جاء في مخطوط **أخبار بلد قسنطينة**، ورقة 7 ما يلي: (فلما **أن تم أمره عبد الله المذكور في البلد عمر محلة وخرج قاصدا لبلد الشرق من ناحية تونس وأحاط فيهم بالأخذ والنهب فمن جملة ذلك اخذ لهم عرشا يقال له الفراشيش...)**،

وبلاد زمورة، حيث ورد في الوثيقة حرفيا: (**بالإضافة إلى التريس**[11] **والعربان المجتمعة للغزو، وهدفهم اخذ تونس.** . .) ثم تعرضت الوثيقة إلى الاستعدادات العسكرية التونسية لمواجهة الحملة الجزائرية المضادّة والمتمثّلة جمع القوات والعتاد والخيم تحت قيادة يوسف خوجة صاحب الطابع، حيث جاء في الوثيقة : (**وبناء عليه تمّ ترتيب خمسون خيمة من العسكر وخمسون من الزواوة وتم تجهيز سائر التريس وعربان شتى أخرجناهم بمعرفة مهردارنا يوسف خوجة**)[12]**. . .**

وأشارت هذه الوثيقة إلى أنّ النّصر في البداية كان حليفا لتونس حيث تم اسر أكثر من خمسين رجلا والاستحواذ على مدفعين وتمّ جرح حوالي أربعمائة وخمسين شخصا، وهرب الباقون، ثم قدمت الوثيقة تفاصيل أخرى تتمثّل في استئناف الاقتتال يوم الأربعاء 9جمادى الأولى بعد يوم من الراحة وصمود القوات التونسية لمدة نصف يوم، حيث تمّ التغلّب على المحال الجزائرية وفرار قادتها، وهو ما عبّر عنه كاتب الرسالة بقوله : (...**وفر حاكمهم وضباطهم واستاسرنا ثمانمائة شخص وهلك حوالي ألفان وتم الاستيلاء على جميع الامحال من مدافع وكورهم والأدوات الحربية والو طاقات وأربعمائة خيمة** ...).

ومن خلال مقارنة هذه الوقائع مع ما كتب في المصادر المحلية الجزائرية نجد تطابقا كبيرا في المعلومات، فقد ذكر الزهار في مذكراته و كذلك مؤلف مخطوط أخبار بلد قسنطينة رواية تتفق على أن الحملة التونسية كانت بالتعاون مع الباي السابق لقسنطينة مصطفى انجليز، حيث تحدث الحاج احمد الشريف الزهار عن ذلك بقوله (**. . والذي أتى بمحلة التو انسة هو الباي الانجليز، بهذا يسمى، وقد كان بايا بقسنطينة سابقا، فوقعت النفرة بينه وبين الأمير فهرب الى تونس، ثم جاء مع محلة تونس لاسترجاع قسنطينة**).[13] وجاء في مخطوط أخبار بلد قسنطينة: (**. . والحاصل بعثت تلك الحملة في أسرع وقت وكان كبيرها الحاج مصطفى الانكليز المقدم ذكره.** . .)[14]، و قد تعرّضت إلى قضية تعاون هذا الباي السابق لقسنطينة مع باي تونس وثيقة أرشيفية ترجع إلى بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر ، مؤرخة في محرم 1271 وهي عبارة عن طلب لجوء إلى تونس بعد سقوط قسنطينة في قبضة الفرنسيين أرسله حسان بن علي ابن الحاج مصطفى انكليز باي إلى محمد باشا، باي تونس ذكر فيها أنّه من سكان قسنطينة وأنّ أباه وجدّه كانا قد قدّما دعما لتونس في عهد حمودة باشا سنة 1222

[11] - التريس اي المدافع.

[12] -المهردار هو صاحب الطابع.

[13] -**مذكرات الشرف الزهار**، المصدر السابق، ص96,

[14] -**مخطوط اخبار بلد قسنطينة**، المصدر السابق، ورقة7.

خلال حملته العسكرية على قسنطينة، وأنّهما قد لعبا دورا في إثارة المشاكل الداخلية في الجزائر، حيث ورد قوله: (**وعملوا الشر في دولة الجزائر وانه قد لحقه الضر بقسنطينة واخذ أملاكه الأتراك وهدموا الديارو التراب ووضعوه في السجن أعوام عديدة كونه ابن الذين خدموا تونس)**[15].

من العوامل التي ساهمت في توتر العلاقات وحدوث نزاعات بين الجزائر وتونس هي دعم بعض القوى الأوروبية لحمودة باشا في مساعيه لتعزيز قدراته العسكرية، [16] وارتباط تونس باتفاقيات تجارية مع هذه القوى خاصة في مجال صيد المرجان في السواحل، حيث تضمنت العديد من الوثائق التونسية مواضيع تعلقت باتفاقيات عقدتها تونس خاصة مع سردينيا وفرنسا وانجلترا حول استغلال السواحل وصيد المرجان خاصة على الحدود البحرية بين تونس والجزائر[17]، ثم عامل الاهتمام الانجليزي بتونس خاصة بعد حملة اللورد اكسموث على الجزائر سنة 1816حيث سارعت انجلترا إلى إعلام تونس بانتصار حملتها على الجزائر، وتضمنت إحدى الوثائق الأرشيفية الصادرة في 31اوت 1816م عن قنصل انجلترا في تونس على الجزائر التأكيد على ضرورة احترام تونس للاتفاقيات التي أبرمت مع انجلترا سابقا دون إحداث أي تغيير مع الإبقاء على امتيازاتها[18].

ومن العوامل التي ساهمت في تفاقم أزمة العلاقات بين إيالتي تونس والجزائر خلافاتهما حول صيد المرجان ، وهو ما يمكن استنتاجه من بعض الوثائق التي تطرقت إلى النزاع بين مراكب الصيد التابعة للبلدين رغم اتفاقهما سابقا على المجال الخاص بصيد المرجان لكل منها، [19] ، ومن بينها رسالة من المدعو الحاج عمار بن الحاج احمد المركانتي بعنابة إلى قرصان باي تونس وهي دون تاريخ لكنّها ترجع إلى عهد الداي حسين أي بعد سنة 1818م، تضمّنت احتجاجا على قيام بعض مراكب الصيد التونسية باعتراض بعض الصيادين في سواحل الجزائر ، حيث حذر صاحب الرسالة من هذه الأعمال وأكد على ضرورة عدم التعرض لأي من المراكب حفاظا على الصلح وتجنبا للفتنة.

---

[15] - الأرشيف الوطني التونسي: **مراسلات صادرة بين مؤلفين جزائريين موجهة الى باي تونس**، الحافظة 223، الملف 384.

[16]- انظر: ابن أبي الضياف، **إتحاف أهل الزمان**، المصدر السابق، ص38-39.

[17] - هذه الوثائق في الأرشيف الوطني التونسي: ضمن الحافظة رقم247، الملف 634 بعنوان: **علاقات الدولة التونسية بإمارة سردينيا الايطالية**

[18] - الأرشيف الوطني التونسي: الحافظة رقم 223، الملف 384، **العلاقات التونسية الجزائرية**.

[19] - الأرشيف الوطني التونسي: الحافظة رقم. 238 الملف رقم550 **مراسلات حول صيد المرجان بالسواحل التونسية**.

لم تتوقف الخلافات الناتجة عن مشاكل الحدود بعد موقعة وادي سيراط وبسبب نقض الجزائريين للصلح الذي تمّ سنة 1816 (1232ه)، واستعداد تونس للحرب كما ذكر المؤرخ التونسي ابن أبي الضياف[20] وتأثير الأوضاع التي كان يعيشها بايلك الشرق في هذه الفترة بسبب نقص المئونة خاصة القمح والشعير حتى أن الأوامر قد أعطيت من أجل الخروج إلى البوادي لأخذ الحبوب المدخرة[21]، فكانت الغارات على التراب التونسي بمثابة محاولة البحث عن حلول للأزمة المعيشية من خلال أعمال النهب والسلب.

وهكذا استمرت هذه الخلافات والغارات المتبادلة عبر الحدود بين الأعراش التونسية والجزائرية في جهتي سوق أهراس وتبسة من الجانب الجزائري ومنطقة الكاف من الجانب التونسي التي كان يقصدها كثير من الجزائريين باعتبارها سوقا هامة.

وفي هذا السياق أشارت إحدى الوثائق التونسية المؤرخة في 1236ه الموافق لسنة1820م، إلى عودة النزاع والتوتر بسبب الخلافات بين رعايا البلدين على جانبي الحدود ، حيث أشارت إلى توغّل بعض القبائل التونسية في المناطق الجزائرية المتاخمة للحدود مع تونس ممّا دفع الحاج أحمد، باي قسنطينة إلى توجيه رسالة حسين باشا، باس تونس في 22رمضان 1242ه ، أحاطه من خلالها علما بأنّ بعض الأعراش التونسية الحدودية مثل عرش الزغالمة وشارن وأولاد بوغانم التونسية قد اعتدت على بعض الاعراش الجزائرية داخل حدودها وان عرش ورغة التي تجمعه حدود بالحنانشة قد توغل بعض أفراده داخل حدود الجزائر وقاموا بإثارة المشاكل والاعتداءات وسرقة المواشي،[22] كما بعث الحاج احمد باي بإنذار إلى السيد صالح بن محمد بالضياف قائد الزعالمة نتيجة توغل عرشه داخل التراب الجزائري ورفضه للرحيل مما يستوجب معاقبته، و ووجه رسالة أخرى إلى نفس القائد حول المشاكل التي تثيرها اعراش أولاد يحي علي داخل التراب الجزائري[23].

---

[20] - ابن ابي الضياف، **اتحاف الزمان**، ج3ص134.

[21] - اوجين فايسيت، **تاريخ بايات قسنطينة**، ترجمة صالح أنور، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص219-220.

[22] -الحافظة رقم 223، الملف 384، **مكتوب من الحاج احمد باي إلى السيد حسين باشا بتونس في شان نزاع وقع بين رعايا تونس ورعايا الجزائر.**

[23] - الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة رقم 223. الملف 384، **مكتوب من الحاج احمد باي لقائد الزعالمة**، دون تاريخ.

وما نستنتجه من خلال هذه الوثائق أن جوهر الخلافات لم يكن مصدره السلطة في كلا الايالتين، وإنما النزاع القائم بين الاعراش الحدودية التي ترتبط ببعضها البعض بروابط جغرافية واجتماعية واقتصادية وغيرها مما جعلها لا تحترم الحدود التي سعا البلدان إلى تحديدها منذ اتفاقية 1628م. [24]، ورغم ذلك لا يمكن الحديث عن حدود دقيقة لأنّ القبائل الحدودية كانت تسيطر على المنطقة [25] وقد تضمّنت الوثائق الأرشيفية وثيقة هامة مؤرخة في منتصف شهر جمادى الثانية1236ه الموافقة لسنة 1820م - وهو تاريخ عقد الصلح الأخير مع الجزائر - وهي عبارة عن مجموعة من التقارير قدّمت عرضا مفصلا عن الحملات التي قامت بها الجزائر داخل تونس والتي تبدأ بحملة عبد الله باي عام 1219ه-1804م، عبر هذه المناطق وتوغلها داخل التراب التونسي في شكل أغارات وحملات انتقامية ونهب وسلب نفذت من قبل بايات الشرق أنفسهم أو بعض الشيوخ من القبائل والأعراش الجزائرية المتاخمة للحدود التونسية[26] وتحمل هذه التقارير اختتاما خاصة بقادة ومشايخ الأعراش التونسية الغربية في منطقة الكاف وبعض العلماء والقضاة والمفتيين الذين اتفقوا على إرسال مجموعة من التقارير حول الغارات الآتية من الشرق الجزائري، حيث تضمنت هذه الوثيقة تفاصيل هامة حول الاعراش التونسية التي تعرضت لغارات من خلال ثمانية عشر تقريرا حولها ، وقد تعدد الجهات التي انطلقت منها هذه الغارات التي بدأت منذ عهد عبد الله باي قسنطينة عام 1804 الذي تميزت فترة حكمه بكثرة الغارات على المناطق التونسية المحاذية للحدود مع الجزائر، ويمكن تقسيم هذه التقارير حول هذه الغارات حسب الجهات التي قامت بها :

-الحملات التي قام بها باي قسنطينة عبد الله باي سنة 1804 على منطقة الكاف وعددها ثلاث حملات، وتذكر الوثيقة بأنّ الحملة قتلت مائة وسبعين شخصا واستولت على ألف وثمانمائة من الإبل وغيرها وحوالي 2000 محبوب ذهب و2500 ريال دورو، و5000 ريال سكة تونس، وحملة أخرى قام بها هذا الباي رفقة شيخ الحنانشة والحراكتة على عرش الفراشيش سنة 1804 قتل خلالها ثلاثة ألاف شخص حسب التقرير الوارد في الوثيقة، وتمّ الاستيلاء على 36الف ريال سكة تونس، وتحدثت الوثيقة أيضا عن الحملة التي قام بها على عرش جندوبة بغرب تونس وتذكر الوثيقة أنّه قتل مائة وخمس وثلاثين

---

[24] -ابن ابي دينار، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، تحقيق محمد الشمام، المكتبة العتيقة تونس1961، ص 184

[25] -حول قضية الحدود تنظر: Charles FERAUD, **histoire des villes de la province de Constantine, la Calle** ,TYP,Alger1871,pp631-632

[26] - الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة 223، الملف 384، **حول اغارات الجزائريين على الاعراش الحدودية التونسية**

شخصا واستولى على حوالي ألف ومائتي ناقة مع 12الف ريال سكة تونس، والحملة التي قام بها على عرش القواسم التونسي، وذكرت أنّه قتل منهم عشرون شخصا واستولى على 10 الاف ريال تونسي.

كما قام حسن أغا[27]بحملة عسكرية أخرى على عرش الزغالمة سنة 1807. وتذكر الوثيقة أن الحملة كانت تتشكل من الفرسان والمشاة ونتج عنها مقتل مائتين وخمسين شخصا من بينهم أطفال ونساء.

تذكر الوثيقة كذلك عدة حملات قام بها شيوخ وقادة الاعراش الشرقية الجزائرية المتاخمة للحدود التونسية على الاعراش التونسية الغربية ومنها الحملة التي قام بها عرش أولاد ذياب بالجزائر على عرش أولاد بوغانم بتونس، والتي قتل خلالها اثنان وسبعون شخصا، منهم أطفال ونساء، والاستيلاء على ألف وخمسمائة رأس من الإبل، وغيرها واخذ 2500 محبوب ذهب و3000 ريال .[28]

كما تشير الوثيقة نفسها إلى الحملة التي قام بها عرش الحنانشة على ورغة التي تجمعها حدود مع الحنانشة ، ونتج عنها قتل حوالي ثلاثين شخصا بين الذكور والإناث وحتى العبيد منهم وقد تم الاستيلاء على حوالي 12000ريال ومواد غذائية من قمح وشعير، كما قام عرش الحنانشة بحملة على عرش أولاد عرفة التونسي، قتل خلالها ثلاثين شخصا، واستولى على 10الاف ريال.

بالإضافة إلى الحملة التي قام بها عرش المحاتلة بحدود سوق أهراس على عرش التوابع بتونس، حيث تشير الوثيقة نفسها إلى مقتل حوالي ستة وعشرين شخصا بين ذكور وإناث، واستيلاءه على مائتي بندقية و11الف ريال من سكة تونس، وتضيف نفس الوثيقة تقريرا آخرا حول الحملة التي قام بها شيخ أولاد علي بن يحي بالجزائر على عرش أولاد يعقوب بتونس قتل خلالها حوالي ستة عشر شخصا واستولى على 12الف من الدراهم التونسية وغيرها، كما قام هذا العرش بحملة على عرش أولاد علي التونسي، وتذكر الوثيقة أنّه قتل ثمانية أشخاص وتم الاستيلاء على ألفي رأس من الاغنام، واستولى على 12الف ريال وغيرها، ورغم هذه التقارير المفصلة حول هذه الغارات إلاّ أنها قد بالغت في الأرقام التي قدمتها والتي تخص أعداد القتلى والغنائم من الإبل والأبقار والماشية التي استحوذت عليها، وربما هذه المبالغة في إرسال كل هذه التقارير كان هدفها تبرير موقف تونس من هذا النزاع وتحميل الجزائر مسؤولية هذه الأحداث أمام السلطة العثمانية التي توسطت للصلح بين الطرفين.

2 مساعي السلطات العثمانية للصلح بين تونس والجزائر:

[27] - هو قائد الحملة العسكرية التي اتت من الجزائر لدعم قوات عبد الله باي لفك الحصار التونسي على قسنطينة.

من أجل وضع حد للنزاعات التي كانت تحدث بين الإيالتين وتجنّب تفجّر الأحداث وتحولها إلى حرب شاملة، قامت السلطات العثمانية بمساعي صلح بينهما، أشارت إليها وثائق الأرشيف التونسي وكذلك وثائق الأرشيف العثماني باسطنبول، ومنها المبادرة التي قام بها السلطان العثماني محمود الثاني[29] وهذا ما يعكس جهود الخلافة العثمانية لعقد الصلح وإنهاء النزاع بين الطرفين، ونذكر منها:

المبادرة التي قام بها السلطان العثماني سنة1227هالموافق لـ 1812، بين تونس والجزائر وهي دعوة صريحة لعقد للصلح من خلال إصدار ما يعرف بالخط الهمايوني الذي بموجبه ألزم الطرفين بإنهاء الخلاف، وقد تضمن الأرشيف العثماني عدة وثائق تخص إصدار الخط الهمايوني تجاه الجزائر وتونس وطرابلس.

ومن أسباب إصدار الخلافة العثمانية هذه الأوامر السلطانية إرسال تونس لرسالة في شكل شكوى للخلافة حول تواجد بعض المراكب الجزائرية المستقرة في سواحل تونس والتي زعمت أنّها هاجمت جزيرة جربة ، وقد كان الأمر السلطاني في شكل إنذار للمراكب الجزائرية لوقف عملياتها، وهدّدت الخلافة الطرف غير الملتزم بالشروط بمعاقبته من قبل السلطان العثماني[30]، ومن المرجح أن هذه الحادثة تعود إلى سنة1810، فقد ذكر الزهار في مذكراته أنّه خلال سنة1225هالموافق ل 1810م قام الرايس حميدو بأخذ مركب تونسي، ثم أرسل مراكب إلى جزيرة جربة لأخذها وبدأ يقوم بعمليات رمي نحو البر فهرب أهلها، وهربت المراكب التونسية [31].

وقد أشار إرنست مارسي (Ernest Mercier)[32] إلى استمرار هذه الأحداث والصدامات بين السفن الجزائرية والتونسية وكذلك استمرار مطالبة الجزائر بحمولة الزيت مع امتناع تونس عن دفعها وأيضا الغارات من كلا الجانبين التي عطلت مساعي الصلح ومنها قيام قائد الجيش التونسي في الحدود يوسف صاحب الطابع سنة 1812 بمحاولة لعبور الحدود والتوغّل داخل الأراضي الجزائرية لكنه فشل، وتسبب في ردّ فعل عسكري جزائري تمثل في قيام عمر اغا بفرض حصار على الكاف بتونس لكنّه فشل أيضا ولم

---

[29] -هو ابن السلطان عبد الحميد الاول، استلم حكم الخلافة سمة 1808م، عرف باصلاح الانكشارية، وتسليح الجيش على النمط الاوربي وقد توفي سنة 1839م.. انظر: محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق احسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981، صص398-400.

[30] - الحافظة رقم 223. الملف 384. **العلاقات التونسية الجزائرية**، رسالة المدعو محمد عربنود الى باش داي تونس بازمير 7جمادى الاولى 1227هـ،

[31] - **مذكرات احمد الشريف الزهار**، المصدر السابق، ص106.

[32] -حول هذه الأحداث انظر: Ernest MERCIER ;**Histoire de l'Afrique septentrionale** 1815-1830 ;T. 3, Pais Ernest Leroux Editeue1868 ; pp 479-481

يحقق أهدافه، ولعل الأحداث الداخلية في الجزائر والمتمثلة في استمرار الثورات أدّت إلى انسحاب القوات الجزائرية دون أن تحقّق أهدافها، وهذه الأحداث كلها وتمسك الطرفين بموقفهما تسبّبت في فشل مساعي الصلح في بدايتها، لكنها استمرت فيما بعد، فقد بيّنت بعض الوثائق رغبة الإيالتين في الصلح وهذا ما نستنتجه من مضمون رسالة وجهها حسين باشا بتونس إلى داي الجزائر حول طلب الجزائر الصلح مع تونس[33]، وهي لا تتضمّن تاريخ معين ولكنها ربما تعود إلى الفترة التي أعقبت وفاة حمودة باشا الذي توفي سنة1814م، ودليل ذلك ما جاء في الثيقة: **(وقد كان المرحوم سيدي حمودة باشا اخذ مركبا بها بضائع كثيرة ومال له بال من تجارة بلادكم وقت الفتنة ولكنه أبقى على الجمرك سنين عديدة)**، لكن الطرف التونسي قام برفض شروط الصلح التي تمسكت بها الجزائر وكأنها في نظر تونس بمثابة الجزية فقد كانت تونس مجبرة على دفع كميات من الزيت إلى الجزائر كشرط أساسي للصلح وتضيف الرسالة أن مسألة الزيت قد تسببت في اندلاع الحروب بين الطرفين سابقا وبالتالي يكون الصلح بتنازل الجزائر عن شروطها السابقة حسب الوثيقة، ويتفق مضمون هذه الوثيقة مع ما جاء في جواب الباي التونسي على رسالة الداي عمر باشا بتاريخ5رجب1231الموافق ل1جوان1816بقوله: " لقد كان أجدادنا في السابق يوجهون إليكم الهدايا، إنهم مجانين لا يفكرون، أما نحن فلسنا على شاكلتهم وعليه سوف لن نرسل لكم شيئا ولو كان حبة قمح."[34]

وقد استمرت السلطات العثمانية في سعيها للصلح بين البلدين، وهذا ما نستنتجه من مضمون الرسالة الصادرة بتاريخ 11ذي الحجة سنة1232ه الموافق لسنة 1817 حول قبول دعوة الخلافة للصّلح من قبل أهل الجزائر الذين قدموا من أجل ذلك إلى الأستانة[35]، ومنها مراسلة الفقيه حسن خوجة بتونس حول قدوم أهل الجزائر للصلح وقال أنّه قد أحسن إليهم وأنّ الكل كان يطلب الصلح، لكن بالرغم من هذا المسعى إلاّ أنّ هذه الصلح الذي عقد بهذا التاريخ تم نقضه وعاد النزاع بين الايالتين من جديد.

وما يلاحظ من خلال رسائل الصلح هو تعدّدها ممّا يدلّ على حرص السلطة العثمانية على إنهاء النزاع وسعي الايالتين لذلك، وكذلك تأثير الظروف الدولية آنذاك والمواجهات التي كانت الدولة العثمانية

---

[33] - الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة رقم223، الملف 384 حول العلاقات التونسية الجزائرية بعنوان: **مضمون المكتوب الموجه من السيد حسين باشا الى باشا الجزائر في شان طلب الصلح.**

[34] -عبد الجليل التميمي، **,بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي، 1816-1871**، ط1، الدار التونسية للنشر تونس1972، ص251.

[35] - الحافظة رقم221، الملف 354 بعنوان: **مراسلات تتعلق ببعثة احمد قبطان المورالي إلى الأستانة في شان الصلح بين تونس والجزائر.**

تخوضها ضد الدول الأوروبية في إطار ما يسمى بالمسألة الشرقية، ممّا جعل السلطة العثمانية تسعى إلى إنهاء النزاع باعتبار الجزائر وتونس إيالتين عثمانيتين .

ويحتفظ الأرشيف التونسي أيضا بمراسلة أخرى ضمن الوثائق المتعلقة ببعثة قبطان باشا إلى الأستانة، وترجع إلى تاريخ1232هالموافق لسنة 1817، وهي مراسلة مطولة من مبعوث تونسي يشهد ويخبر الباي التونسي حسين باي حول مضمون اللقاء والحجج التي قدمها المبعوث عندما التقى بقبطان احمد باشا المورلي حيث عرض فيها تفاصيل اللقاء والمبرّرات التي قدمها وموقف السلطة العثمانية ومن أهمّ ما جاء فيها:

الخلاف الذي ذكره حول تمسك الجزائر بشروطها حول التزام تونس بدفع الهدايا للجزائر كل سنة وخاصة الزيت حيث جاء في قوله على لسان قبطان احمد : "**نصالح بينهم وبين الجزيرية ولكن لم تعطوا العادة التي كانت يؤدوها لهم وحمولة الزيت**. . . "وتمسك قبطان باشا برأيه وتعصبه على حد قول المبعوث التونسي بقوله: "**قال لي هذه عادة لا يمكن تبطيلها**. . . ويضيف : "**اتخذني مثلا يعبر لنا هو يقول الشيء الذي علق في سقف بين لا بد من ابقاءه هناك**" ولهذا كان يفهم من كلامه حسب المبعوث التونسي أنّه شديد الميل للجزائر واكثر تعصبا تجاه تونس ويستند في ذلك إلى أنّه يدافع عن الجزائر التي كانت تدفع كل ثلاثة سنوات هدايا للسلطان وتمدّه بقطع بحرية إذا ما طلب ذلك السلطان حسب قول قبطان احمد باشا، وكان المبعوث التونسي قد رد عليه بأن تلك الهدايا الجزائرية كان هدفها تغطية التجاوزات التي تقوم بها ، ومن المقترحات التي طرحها قبطان احمد باشا حسب ما جاء في قول المبعوث التونسي أنّه قد اقترح حلا للصلح فبدل أن تقدم تونس الهدايا والزيت إلى الجزائر تصبح تونس تقدمها للسلطان، ويبرر المبعوث قوله بأنّه كان متمسكا بشرط عدم إعطاء الزيت للجزائر لأنّه لا يملك ترخيصا بقوله: "**لا عندي ترخيص في إعطاء الزيت لأنّ الوجق فيه ديوان لم يرضوا. . . "** وبالمقابل كان المبعوث التونسي يريد كسب تأييد القبطان بقبوله تقديم الهدايا للسلطان بدل الجزائر بقوله: "". . . **الى ترسانة السلطان نصره الله تعالى مرخص من الله تعالى**. . . ".

لقد كانت السلطات العثمانية حسب المبعوث التونسي ترى في تونس عاصية لأوامرها حيث لم تعمل بفرمان السلطان وهذا الفرمان حسب هذا المبعوث وعندما تأكد من قراءته كان قديما قبل تسعة سنوات يلزم تونس بدفع الهدايا للجزائر وكشرط للصلح والذي سيؤدي ذلك الى التخلص من كل التحصينات والثغور التي بنتها تونس للدفاع عنها بقوله: "**واذا بلغنا الحرمة يجب علينا أن نهدم الابراج الذي بنينا في عمالتنا افريقية وجميع ثغور الحرب ولا تفتح سنجاق الذي فرع من علامات الاسلام ويفوه الجزيرية بذلك الى جميع جنوس النصارى ويفتخر به ويقول تونس رعيتنا فيخلط بذلك اعتبار الوجق وتعلم ان السلطان نصره الله لا يرضى بخراب وجق الذي هو من اثغار الجهاد**. . . "، أمّا مسالة

الدعم الجزائري البحري للسلطان العثماني، فقد كان جواب المبعوث التونسي أنّه في العديد من المرات قامت تونس أيضا بمثل هذا الدعم إلى جانب الإحسانات التي كانت ترسلها إلى السلطان العثماني.

ويفهم من هذا الكلام الوارد في هذه المراسلات أن الطرف التونسي عرف كيف يدافع عن موقفه ويقنع السلطة العثمانية نظرا لتمسكه بموقفه وكل المبررات التي كان يقدمها وهذا ما نستنتجه من مضمون وثائق أخرى

ففي إحدى الوثائق الصادرة بتاريخ 18جمادى الأولى 1232هـ، 1817م، لا تحمل عنوان[36] وهي مبتورة السطور الأولى حيث جاء فيها على لسان إحدى الشخصيات دعوة تونس للصلح مع الجزائر وهذا بالرغم من عدم استجابة الجزائر لدعوة السلطان العثماني حيث كان الرد الجزائري سلبيا ولم تقدم جوابا مقنعا للسلطان والأكثر من ذلك لم يحسن الطرف الجزائري الحديث حيث كان حوابه أنّ تونس ملكا للجزائر واعتبرت السلطة العثمانية هذا الموقف بانه تمرد على سلطتها فقامت السلطة العثمانية بإسقاط الشروط الجزائرية على تونس.

وقد أشار بشيء من التفصيل لهذه الرواية احمد الشريف الزهار في مذكراته[37] حيث ذكر أنّ السلطان محمود خان قد بعث إلى تونس والجزائر بأن يرسل كل منهما مبعوثا من الاوجاق بشأن الصلح، فذهب من تونس رجلا عاقلا وذهب من الجزائر رجل أقل الناس عقلا على حد قوله: "**(لو أن الأمير بعث برجل من المرسطان[38] لكان أحسن ولما وصلوا إلى الحضرة العلية أمر وزيره الأعظم الكلام من الرجلين فسؤلا عن أسباب العداوة بين أمراء الوجقين فاخبره التونسي وعرف كيف يتكلم واظهر له الحق. . .)**، لكن المبعوث الجزائري لم يكن كذلك بقوله: **(هذه تونس كنا أخذناها سابقا وأصبح أهلها رعية لنا وكنا نأخذ منهم الغرامة كل سنة ثم أنهم عصونا فصرنا نأخذهم ولا نزال نأخذهم ونأخذ بلادهم أن التو انسة رعية لنا مثلما الكريك رعية لكم)** هذا الموقف أدى إلى غضب الوزير وأكد أن تونس ليست مجبرة على تقديم العطاء للجزائر وفرض الصلح بين الطرفين سنة 1232 .

كما تضمنت وثيقة عثمانية كتبت بالعربية حول إصدار خط همايوني مؤرخة في 1232جاء فيها(**الذي مع تونس نحيو صلح مع تونس فأرسل إلى تونس على صلح كل حد في قطره هو ولا عو ايد ولا**

---

[36] -الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة رقم223 الملف 384 **حول العلاقات التونسية الجزائرية**. أيضا: **وثائق الأرشيف الوطني باسطنبول** رقم HAT632_31210-E

[37] -**مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار**، ص146-147.

[38] -أي دار المجانين.

غيره هكذا خبرو. . .)[39] ويتضح من خلال الوثيقة دعوة السلطان العثماني كل قطر إلى التزام حدوده وتوقف تونس عن دفع الجزية لباي قسنطينة، وتتفق هذه الرواية التي قدمها الزهار في مذكراته مع مضمون الوثيقة السابقة بأن الخلافة العثمانية قد فرضت صلحا على الطرفين دون شروط، أي التزام الجزائر بالتوقف نهائيا عن مطالبة تونس بتقديم هدايا الزيت وكميات القمح الى باي قسنطينة كل سنة والتي كانت من قبل مجبرة على دفعها سنويا من قبل. لكن مسألة النزاع والغارات المتبادلة عبر الحدود استمرت خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر خاصة على حدود منطقة سوق أهراس ومن بينها الغارات التي قام بها بن نصر بن شهرة على الأراضي التونسية المتاخمة للحدود الجزائرية، وكذلك توغل القبائل التونسية داخل الأراضي الجزائرية، التي كانت ذريعة للسلطات الفرنسية لغزو تونس عام 1881م وفرض الحماية عليها بموجب معاهدة باردو التي فرضتها على تونس يوم 12 ماي 1881م.

[39] -**الأرشيف الوطني باسطنبول**، HAT685-33301-A

الخاتمة:

من خلال ما سبق عرضه ومناقشته وتحليله يمكن أن نخلص إلى العديد من الاستنتاجات لعل أهمها أن هذا النزاع الحدودي تحكمت فيه عوامل وظروف داخلية تتعلق أساسا بحركة القبائل الحدودية وتأثيراتها من كلا الطرفين، كما أن هذا النزاع قد اشتد خاصة بعد تغيّر القيادة في تونس ووصول حمودة باشا إلى الحكم وعزمه على وضع حدّ لتدخلات الجزائر في الشؤون الداخلية لبلاده.

لقد اشتدّت حدّة هذا النزاع مع بداية القرن التاسع عشر، حيث استمرت غارات وحملات عسكرية متبادلة في فترات متقطعة، لكنّ الغارات الجزائرية على القبائل التونسية المتاخمة للحدود الجزائرية كانت أكبر، لكنّها لم تتسبب في حرب شاملة أو انهيار هذه الإيالة أو تلك.

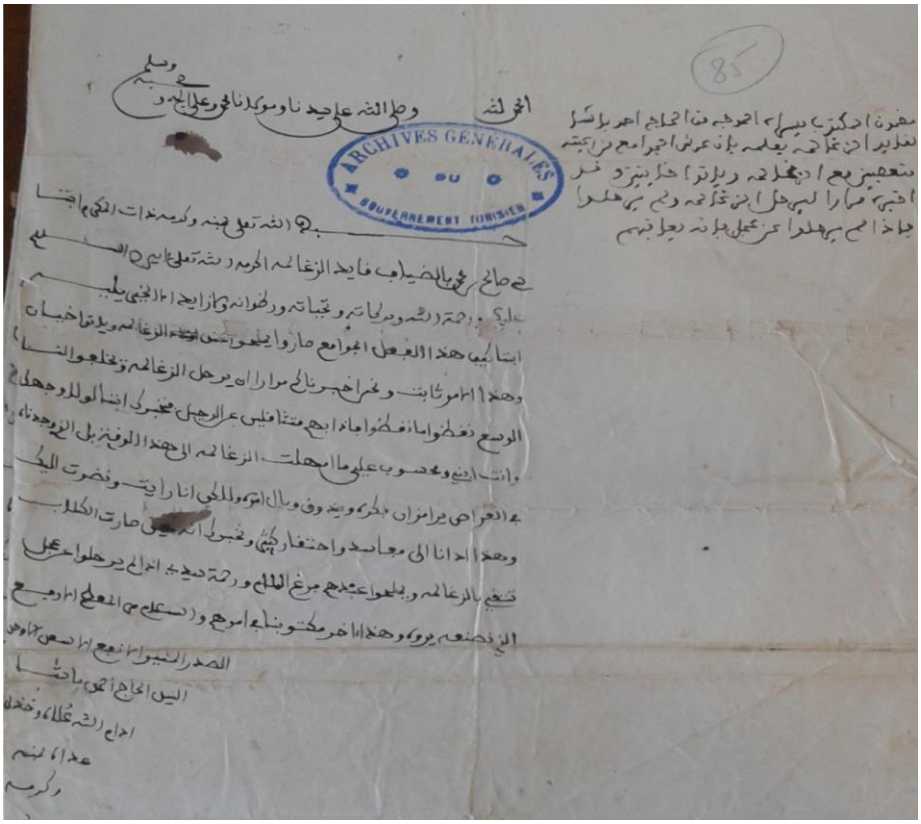
أما السلطات العثمانية، فرغم ضعفها ومعاناتها من الحروب العدوانية التي شنتها ضدها العديد من الدول الأوروبية وعلى رأسها روسيا وفرنسا وبريطانيا والنمسا في إطار ما يسمى المسألة الشرقية، فقد استعملت نفوذها المعنوي وضغطت على سلطات الإيالتين وفرضت عليهما إبرام صلح لوضع حدّ للحرب بينهما بغرض التفرّغ لمواجهة تفاقم الخطر الأوروبي على الدولة العثمانية وعلى تونس والجزائر على حدّ سواء.

الملاحق

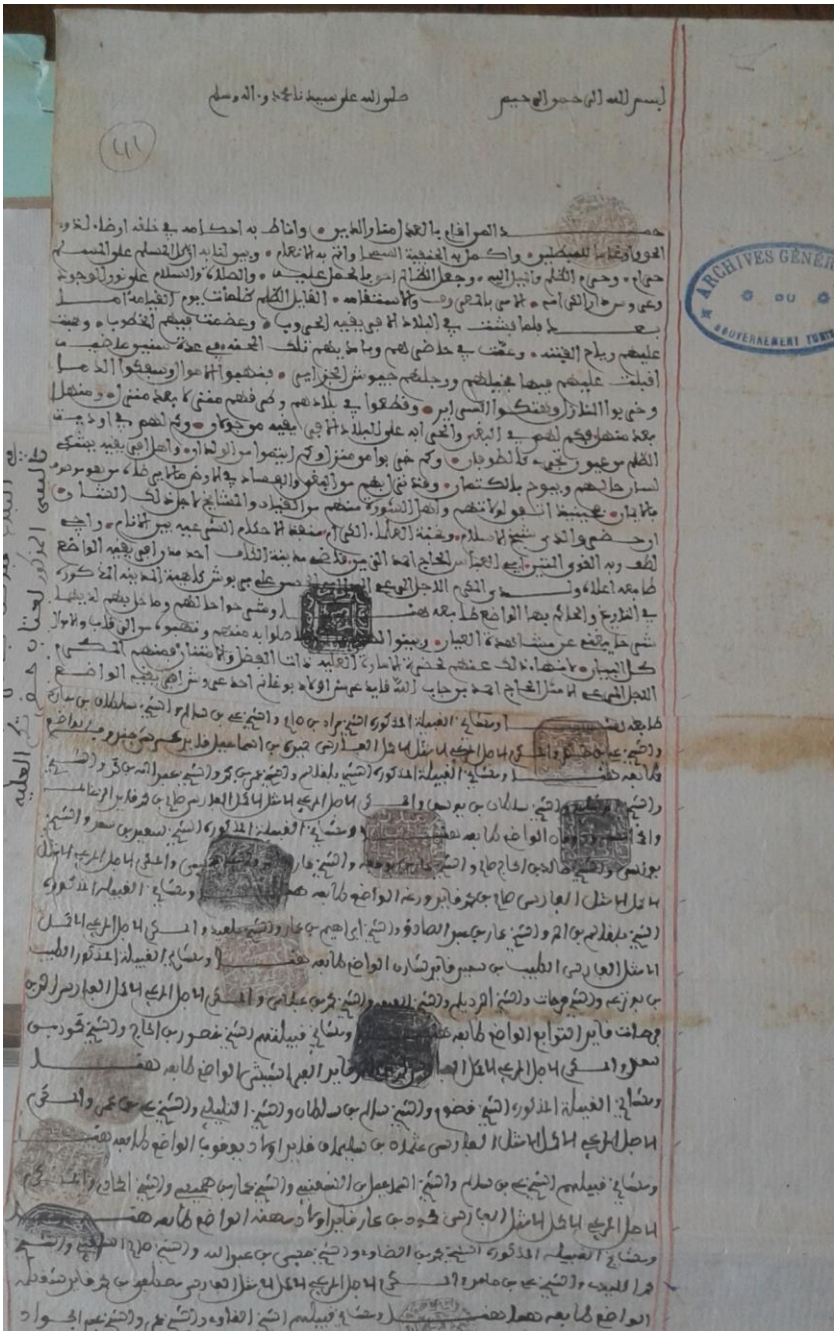
الملحق1:

رسالة الحاج احمد باي لقائد الزعالمة حول توغل عرش الجوامع إلى الحدود الجزائرية، دون تاريخ

الأرشيف الوطني التونسي: الحافظة 223، الملف384



الأرشيف الوطني التونسي: الحافظة223، الملف384



المصادروالمراجع:

ا**لمكتبة الوطنية الجزائرية، مخطوط أخبار بلد قسنطينة، تحت رقم2717.**

الأرشيف الوطني باسطنبول رقم HAT632_31210-E

الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة 223، الملف 384، **حول اغارات الجزائريين على الاعراش الحدودية التونسية.**

الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة رقم 223. الملف 384. **العلاقات التونسية الجزائرية**، رسالة المدعو محمد عربنود الباش داي تونس بازمير 7جمادى الاولى 1227ه.

الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة رقم. 238 الملف 550 **مراسلات حول صيد المرجان بالسواحل التونسية**.

الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة رقم221، الملف 354 بعنوان: **مراسلات تتعلق ببعثة احمد قبطان الموراليإلى الأستانة في شان الصلح بين تونس والجزائر**.

الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة رقم223، الملف 384 حول العلاقات التونسية الجزائرية بعنوان: **مضمون المكتوب الموجه من السيد حسين باشا الى باشا الجزائرفي شان طلب الصلح.**

الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة رقم223، الملف 384، **مكتوب من الحاج احمد باي إلى السيد حسين باشا بتونس في شان نزاع وقع بين رعايا تونس ورعايا الجزائر.**

الأرشيف الوطني التونسي، الأرشيف الوطني التونسي: **مراسلات صادرة بين مؤلفين جزائريين موجهة الى باي تونس**، الحافظة 223، الملف 384.

الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة رقم 223. الملف 384، **مكتوب من الحاج احمد باي لقائد الزعالمة**، دون تاريخ.

الأرشيف الوطني التونسي، الحافظة رقم247، الملف 634 بعنوان: **علاقات الدولة التونسية بإمارة سردينيا الايطالية**.

الأرشيف الوطني باسطنبول، HAT685-33301-A

ابن ابي الضياف، **إتحاف آهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، ج2، الدار العربية للكتب، تونس1999.

ابن ابي دينار، **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، تحقيق محمد الشمام، المكتبة العتيقة تونس1961.

ابي عبد الله الشيخ محمد الباجي المسعودي، **الخلاصة النقية في أمراء افريقية**، ط2، تونس1323ه.

ابن مبارك بن العطار الحاج احمد، **تاريخ قسنطينة**، تحقيق عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة 2011.

فايسيت اوجين، **تاريخ بايات قسنطينة**، ترجمة صالح أنور، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

الزهار أحمد لشريف، **مذكرات** تحقيق احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

السلطاني نبيهة، **القوى العسكرية بتونس وتكاليفها المالية من 1756 الى 1814**، رسالة دكتوراه، جامعة تونس الاولى، 1999-2000.

الصالح بن العنتري محمد، **فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على اوطانها**، تحقيق يحي بوعزيزنة دار هومة للنشر، الجزائر، 2005.

بك المحامي محمد فريد: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تحقيق احسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت لبنان 1981.

التميمي عبد الجليل، **بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي، 1816-1871**، ط1، الدار التونسية للنشر تونس1972.

FERAUD Charles**, histoire des villes de la province de Constantine, la Calle** TYP , l'association ouvrière V. Aillaudcie, 1871.

MERCIER Ernest ; **Histoire de l'Afrique septentrionale** 1815-1830 ; T3, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1868.